تصنيف نهج البلاغة
إطلالةٌ على التبويب والمضامين

إبراهيم حسن*

مقدّمة:

لا يخفى على كلّ ذي لبّ ما شكّله كتاب نهج البلاغة من منهل علم ومعرفة وأدب لكلّ من رام الاقتباس من مشعل أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا ينطفئ وجذوته التي لا تخبو، «**ولعلّ امتياز هذا الكتاب يكمن في أنّه عدا عن أنّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام - وحسبه ذلك عظمةً وسموّاً وخلوداً- قد اختاره الشريف الرضيّ على أنّه يمتاز -بنظره- بصفة كونه في أرقى درجات الفصاحة والبلاغة، وحسن السبك، وجمال الأداء، كونه جامعاً لمختلف ضروب الحكمة، وسائر فنون الكلم، وكافّة روائع الأدب، هذا عدا عن أنّ جامعه هو علم من الأعلام، وغرّة زاهرة في جبين الأيّام**»[1].

وقد تعدّد الكتّاب والمؤلّفون الذين ولّوا وجوههم شطر نهج البلاغة، فطاف بعضهم حوله محقّقين ودارسين ومصنّفين، فيما استسقى آخرون من زمزمه، وسعَوا بين كلماته وعباراته...

وقد كان من بين تلك الدراسات التي كتبها هؤلاء الباحثين دراساتٌ تُعنى بـ «**تصنيف موضوعات نهج البلاغة**»، بما يُطلع القارئ على مضامين نهج البلاغة وتوزّعها موضوعيّاً، وبما يسهّل البحث لكلّ من أراد الاغتراف من معين أمير المؤمنين عليه السلام.

ولعلّك عزيزي القارئ تتساءل: ما الغاية من تلكم التصانيف مع أنّ الشريف الرضيّ رحمه الله قد بوّب نهج البلاغة، معتمداً في ذلك على معيارٍ ذكره في مقدّمة كتابه[2]؟

ونجيبك بأنّ بين تصنيف الشريف الرضي رحمه الله وسائر التصانيف فوارق شتّى، نتعرّف إليها في هذه المقالة مع استعراضنا لكلٍّ من تصانيف الشريف الرضي رحمه الله، آية الله مشكيني، الشهيد مطهّري، لبيب بيضون.

* طالب في الحوزة العلمية - معهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

١) مرتضى، السيّد جعفر: مقدمة كتاب الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة، مؤسسة نهج البلاغة، ط١٤٠٤،١ هـ، قم المقدّسة، ص٧.

٢) راجع: كتاب نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، دار البلاغة،ط٨، ٢٠٠٠م، بيروت،ج١، ص١٩.

تصنيف الشريف الرضيّ رحمه الله

لا شكّ أنّ لتصنيف مصنّف نهج البلاغة الأهمّيّة البالغة؛ فهو الذي قام بجمع المأثور من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد حداه إلى ذلك طلبٌ من بعض معارفه بعد أن فرغ من كتابة القسم الأوّل من كتاب «**خصائص الأئمّة**» باسم «**خصائص أمير المؤمنين عليه السلام**»، وقد ذكر الشريف الرضي رحمه الله تفصيل ذلك في مقدّمة النهج، نورد منها:

«وكنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الأئمّة عليهم السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم... وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليّا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقيّة الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيّام، وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصّلته فصولاً، فجاء في آخرها فصلٌ يتضمّن محاسن ما نُقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعةٌ من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجّبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتفرّعات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علماً أنّ ذلك يتضمّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذكور الأجر. واعتمدت به أن أبيّن من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام...

ورأيت كلامه يدور على أقطاب ثلاثة:

أوّلها: الخطب والأوامر.

ثانيها: الكتب والرسائل.

ثالثها: الحكم والمواعظ.

فأجمعت بتوفيق الله - جلّ جلاله- على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفرداً لكلّ صنف من ذلك باباً»[٢].

إذاً، يذكر الشريف الرضيّ رحمه الله أنّ المعيار في تبويبه لنهج البلاغة هو كون كلام أمير المؤمنين عليه السلام خطبة، أو كتاب، أو حكمة مختصرة، وهذا المعيار في التصنيف - على

٢) م.ن.، ص١٩

أهمّيّته- لا يخلو من شوائب، أبرزها أنّه لا ييسّر عمل الباحث عن موضوع من مواضيع نهج البلاغة، فلعلّ موضوع البحث موجودٌ في الكتب دون الخطب، أو العكس، ثمّ إن عناوين كثيرٍ من الخطب والكتب لا يشير إلى كافّة مضامينها، فربّ خطبةٍ يبتدئها أمير المؤمنين عليه السلام بحمد الله وتمجيده، ثمّ يختتمها بموعظةٍ، أو بمبدأٍ من مبادئ الحكم والسياسة، وهكذا...

وإذا ما أراد الباحث أن يتعرّف على سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة، فإنّ صعوبةً قد تعترضه من جهة أنّ النهج غير مرتّبٍ على أساس زمني، ولذلك قد تجد خطبةً للأمير عليه السلام بعد وقعة الجمل في أوائل خطب النهج، بينما تجد كلامه عليه السلام لعمر عندما استشاره للخروج إلى غزو الروم في ترتيبٍ متأخّر، مع أنّ المعيار الزمني يقتضي العكس.

لكنّ هذه الملاحظات تبقى مغفورةً على كلّ حال؛ ذلك أن الشريف الرضيّ رحمه الله ذكر في مقدّمة كتابه أنّ هدفه من جمعه تبيان عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أفلح في ذلك بلا ريب، وأجاب على بعض ما طرحناه بقوله: «**وربّما جاء فيما أختاره من ذلك فصولٌ غير متّسقة، ومحاسن كلمٍ غير منتظمة؛ لأنّي أورد النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق**»[٤].

التصانيف الموضوعيّة المعاصرة

أمام الحاجات المفروضة على الباحثين في نهج البلاغة، كان لا بدّ من تصنيفٍ جديدٍ يلحظ موضوعاته ومضامينه، ولذلك قام عددٌ من الباحثين بتقديم تصنيفات تنوّعت بين ما يقوم على معيار الكلمة وبين ما يقوم على معيار الموضوع، فالأوّل يقوم بإحصاء مفردات النهج وكلماته، ثم يرتّب تلك المفردات ترتيباً أبجديّاً (أو ألفبائيّاً)، لكنّ هذا المعيار يبقى يشكّل بعض صعوبةٍ لمن أراد البحث عن موضوعٍ تتنوّع مفرداته ومرادفاتها.

٤)م. ن.، ص٢١.

أمّا المعيار الثاني فيقوم على ترتيب مواضيع النهج، بحيث يستقصي كلّ العبارات التي ترتبط بالموضوع، وإن وردت بصيغ ومفردات مرادفةٍ لا مطابقةٍ. وبما أن هذا النوع من التصانيف هو الأكثر نفعاً للباحثين في نهج البلاغة ولمن أراد التعرّف على موضاعاته، فإننا نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - جملةً من التصانيف الموضوعيّة،عارضين لرؤوس فصولها وأبوابها ،وهذه التصانيف هي الآتية:

تصنيف آية الله علي مشكيني[٥]

الباب الأوّل: أصول الدين (العقائد)، ويتضمّن: التوحيد ومعرفة الله، العدل الإلهيّ، النبوّة والأنبياء، الإمامة والأئمّة الإثني عشر، الإمام عليّ عليه السلام، الإمام المهديّ عليه السلام، المعاد والحساب.

الباب الثاني: الإيمان وعلاماته.

الباب الثالث: الدين والإسلام.

الباب الرابع: القرآن والسنة.

الباب الخامس: العبادات.

الباب السادس: الأخلاق، ويتضمّن: الأخلاق الحسنة، والأخلاق السيّئة.

الباب السابع: أصناف الناس.

الباب الثامن: التاريخ.

الباب التاسع: المعاملات.

الباب العاشر: الاجتماع والسياسة.

الباب الحادي عشر: نظام المال والاقتصاد.

الباب الثاني عشر: علوم الطبيعة.

الباب الثالث عشر: الإنسان وأحكامه وشؤونه.

٥) مشكيني، الشيخ علي : الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة، مؤسسة نهج البلاغة، ط١،١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة.

تصنيف الشهيد مطهّري[٦]

١- مباحث التوحيد، وما وراء الطبيعة.

٢- نظام العبادات.

٣- نظام الحكم والإدارة.

٤- أهل البيت عليهم السلام والخلافة.

٥- المواعظ والحكم.

٦- الدنيا، والزهد فيها.

٧- الحرب والحماسة.

٨- الملاحم والمغيبات.

٩- الأدعية والمناجاة.

١٠- الانتقاد والشكوى من الناس.

١١- القواعد الاجتماعية في نهج البلاغة.

١٢- الإسلام والقرآن في نهج البلاغة.

١٣- الأخلاق وتهذيب النفس.

١٤- الشخصيّات في نهج البلاغة.

تصنيف لبيب بيضون[٧]

وقد ذكر في مقدّمة كتابه «تصنيف نهج البلاغة» فوائد التصنيف الموضوعي لنهج البلاغة، ولأهميتها نوردها في هذا السياق، فيقول:

«يتوخّى هذا التصنيف عدّة فوائد، منها ثلاث فوائد أساسيّة، هي:

٦) مطهّري، الشيخ مرتضى: في رحاب نهج البلاغة، الدار الإسلامية، ط٢، ٢٠٠٣ م، بيروت، ص ٣١.

٧) هو ابن الأديب المرحوم الأستاذ وجيه بيضون، وهو كاتب وأديب سوري. بالإضافة إلى تدريسه لمادّة الفيزياء في جامعة دمشق، له العديد من المؤلّفات الإسلاميّة، لا سيّما التي ترتبط بنهج البلاغة، وأبرزها كتاب: «تصنيف نهج البلاغة».

١- إطلاع القارئ على الأفكار التي يدور حولها فلك النهج. فتبرز بواسطة هذا التصنيف قيمة النهج الحقيقية عن طريق حصر موضوعاته ومحتوياته واهتماماته. فهو ليس كتاب أدب وبلاغة فحسب، وإنما هو كتاب عقائد ودين، وسياسة وحكم، وحرب وسلام، وقضاء وفقه، واقتصاد وتخطيط، واجتماع وأخلاق.

٢- مساعدة الباحث على معرفة كلّ ما ورد في النهج في شأن من الشؤون أو موضوع من الموضوعات، بحيث يستفيد منه في البحث الذي يكتب فيه.

٣- إرشاد الكاتب إلى المكان من النهج الذي وردت فيه فكرة أو جملة أو عبارة من العبارات التي كان قد سمعها أو قرأها في النهج، فيهتدي إلى مكانها بأسرع وقت ممكن»[٨].

ثمّ يرتّب لبيب بيضون كتابه المذكور بترتيبٍ نورد ملخّصه على الشكل الآتي:

الجزء الأوّل :

الباب الأوّل: أصول الدين (العقائد).

ويتضمّن تسعة فصول: التوحيد ومعرفة الله، العبودية لله، الخلق والمخلوقات، العدل الإلهي والتكليف، القضاء والقدر، النبوّة والأنبياء، القرآن والسنّة، الإسلام والإيمان، المعاد والحساب.

الباب الثاني: فروع الدين (العبادات والمعاملات)

ويتضمّن ثلاثة فصول: عبادة الله، العبادات، المعاملات.

الباب الثالث: الإمامة والأئمّة عليهم السلام.

ويتضمّن ثلاثة فصول: الإمامة العامّة، الإمامة الخاصّة، شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام.

الباب الرابع: سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويتضمّن أربعة فصول: عصر النبي صلى الله عليه وآله، الإمام علي عليه السلام والخلافة، عصر الخلفاء

٨) بيضون، لبيب: تصنيف نهج البلاغة، دار المحجّة البيضاء، ط١، ٢٠٠٤ م، بيروت، ج١، ص١٧.

الراشدين، خلافة الإمام علي عليه السلام.

الجزء الثاني

الباب الأول: حروب الإمام علي عليه السلام في مدّة خلافته.

ويتضمّن ستّة فصول: قيام الفتن ونكث البيعة، الحرب والملاحم وقتال المنحرفين، موقعة الجمل، موقعة صفّين، موقعة النهروان، ولاية مصر.

الباب الثاني: سياسة الدولة.

ويتضمّن ثلاثة فصول: نظام الحكم، نظام الإدارة، نظام المال والاقتصاد.

الباب الثالث: الشؤون الاجتماعية.

ويتضمّن ثلاثة فصول: شؤون الأسرة، العلاقات الاجتماعيّة، الحقوق المتبادلة.

الباب الرابع: الإنسان وشؤونه.

ويتضمّن عشرة فصول: التكوين الجسمي والنفسي للإنسان، الانفعالات والحاجات الجسدية، أحوال الإنسان في الحياة، المال والعمل، الأخلاق والآداب والتربية، التأديب والتربية، العلم والعلماء، علوم الدين واللغة، علوم الطبيعة، علوم الطب.

الباب الخامس: المواعظ والإرشادات.

ويتضمّن سبعة فصول: طاعة الله تعالى، الهدى والهوى، التنبيه من الغفلة، التقوى والفسوق، الزهد، حبّ الدنيا، العمل للآخرة.

الباب السادس: الفهارس.

ويتضمّن خمسة فصول: فهرس محاسن الأخلاق ومساوئها، فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبويّة، فهرس الأبيات الشعريّة، الخطبة الخالية من الألف، والخطبة الخالية من النقط.

الخاتمة

نشير إلى وجود العديد من التصانيف الأخرى التي قدّمها جمعٌ من العلماء

والباحثين، لكنّنا ذكرنا ما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر.

و مع نهاية هذه المقالة يتراءى لك - عزيزي القارئ- أنّه يبقى لنهج البلاغة عددٌ من التصانيف التي تختلف باختلاف مصنّفها و المعيار الذي اتّخذه في تصنيفه، لكنّها تشترك في إقرارها بأنّ نهج البلاغة كتابٌ شامل لشؤون الحياة، يجلّ عن أن تحيط به إدراكاتنا القاصرة، أو أن تحدّه تصنيفاتٌ قديمةٌ أو معاصرة، فالحقّ والحقّ ما قيل فيه: «**دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين**».